

مختصر ابن كثير

- 51 - ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب .
- 52 - وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد .
- 53 - وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد .
- 54 - وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مرير .
- يقول تبارك وتعالى : ولو ترى يا محمد إذا فزع هؤلاء المكذبون يوم القيمة { فلا فوت } أي فلا مفر لهم ولا وزر لهم ولا ملجاً { وأخذوا من مكان قريب } أي لم يمكنوا أن يمنعوا في الهرب بل أخذوا من أول وهلة قال الحسن البصري : حين خرجوا من قبورهم وقال مجاهد وقتادة : من تحت أقدامهم وعن ابن عباس والضحاك : يعني عذابهم في الدنيا وقال عبد الرحمن بن زيد : يعني قتلهم يوم بدر وال الصحيح أن المراد بذلك يوم القيمة وهو الطامة العظمى وإن كان ما ذكر متصلًا بذلك { وقالوا آمنا به } أي يوم القيمة يقولون آمنا بما ورسله كما قال تعالى : { ربنا أبصرا وسمعا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون } ولهذا قال تعالى : { وأنى لهم التناوش من مكان بعيد } أي وكيف لهم تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة وهي (دار الجزاء) لا دار الابتلاء ؟ فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان قال مجاهد : { وأنى لهم التناوش } قال : التناول لذلك وقال الزهري : التناوش تناولهم الإيمان وهم في الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا وقال الحسن البصري : أما إنهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال تعاطوا الإيمان من مكان بعيد وقال ابن عباس : طلبوا الرجعة إلى الدنيا والتوبة مما هم فيه وليس بحين رجعة ولا توبة .
- وقوله تعالى : { وقد كفروا به من قبل } أي كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا بالرسل { ويقذفون بالغيب من مكان بعيد } يعني بالطن كما قال تعالى : { رجموا بالغيب } فتارة يقولون شاعر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ويكتذبون بالبعث والنشور والمعاد { ويقولون إن نظن إلا طنا وما نحن بمستيقين } قال قتادة ومجاهد : يرجمون بالطن لا بعث ولا جنة ولا نار وقوله تعالى : { وحيل بينهم وبين ما يشتهون } قال الحسن البصري والضحاك وغيرهما : يعني الإيمان وقال السدي { وحيل بينهم وبين ما يشتهون } : وهي التوبة وهذا اختيار ابن حيرر (وقال مجاهد : { وحيل بينهم وبين ما يشتهون } من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل) وروي نحوه عن ابن عمر وابن عباس والرابع بن أنس وهو قول البخاري وجماعه من العلماء)

والصحيح أنه لا منافاة بين القولين فإنه قد حيل بينهم وبين شهوا them في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة فمنعوا منه . قوله تعالى : { كما فعل بأشياعهم من قبل } أي كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسل لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم { فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون } وقوله تبارك وتعالى : { إنهم كانوا في شك مریب } أي كانوا في الدنيا في شك ورببة فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب قال قتادة : إياكم والشك والريبة فإن من مات على شك بعث عليه ومن مات على يقين بعث عليه